الترجمة والأنثروبولوجيا : أية علاقة؟
ترجمة أنثروبولوجيا المغرب إلى العربية نموذجا
Translation and Anthropology: which relationship ?
The case of The translation of Maghreb anthropology into Arabic

د.صورية مولوجي قروجي
مركز البحث في الأنثربولوجيا الاجتماعية والثقافية / معهد الترجمة
جامعة وهران1-الجزائر.
soraya@gmail.commouloudji.

تاريخ الإرسال: 2018/08/02	تاريخ القبول: 2018/10/22	تاريخ النشر: 2018/11/17

ملخص البحث

إن أهمية ترجمة الأنثربولوجيا لا تقل أهمية عن توظيف المقاربة الأنثربولوجية لبعث الدرس الترجمي وتحريره من قيد التنظيرات اللسانية والأدبية المحضة، وهو ما يتجلى بشكل واضح من خلال أبرز خصوصيات ترجمة النص الأنثربولوجي التي تتعذر في غياب عمل محاذي للتجربة الميدانية التي تتمحور حولها الدراسة قيد الترجمة.

في خضم مسيرتها للبحث عن تحقيق هوية علمية مستقلة عن غيرها من العلوم، وبعدما انتهلت الترجمة نظرياتها وتوجهاتها العلمية من عديد التخصصّات والمقاربات الفكرية: كيف يمكن لها أن تستفيد من المقاربة الأنثربولوجية باعتبار هذه الأخيرة من أهم المقاربات التي أثبتت نجاعتها في العديد من التخصصّات الإجتماعية والإنسانية الأخرى؟ وكيف يمكن لهذه المقاربة الحديثة أن تدعم مناهج البحث والتحليل في مجال الترجمة؟

غالبا ما يكون الباحث الأنثربولوجي غريبا عن ميدان الدراسة أو التحقيق الذي يشتغل فيه: فما هي العلاقة التي يمكن أن تربط هذا الباحث بالترجمة؟ وما هي مراحل البحث الأنثربولوجي التي تستوجب استحضار الفعل الترجمي؟

الكلمات المفتاح: ترجمة ؛ أنثربولوجيا ؛ أنثربولوجيا المغرب ؛ إعادة إنتاج.

Summary:

The importance of translating anthropological texts is not less than introducing the anthropological approach to the study of translational process. So, in this article, we examine the contribution of this modern approach and its role in the analysis of the translation process, which until now has been based essentially on linguistic, literary and even sociological foundations. Moreover, since the anthropologist is often a stranger to the field of research, he challenges, at many stages, the translating act.

However, we will try in this paper to highlight the different convergences that exist between these two disciplines, in this case translation and anthropology.

Key words: translation; anthropology; Maghreb Anthropology; reproduction.

مقدمة:

إذا كانت الحاجة إلى ترجمة العلوم الاجتماعية عموما إلى اللغة العربية حاجة ملحّة وعاجلة، فإنها في الدراسات الأنثروبولوجية وبالأخص "أنثروبولوجيا المغرب"[1] حاجة مضاعفة : فمن جهة هناك مسألة استرجاع الموروث الفكري والثقافي وإعادة تملكه في صيغته المحلية، ومن جهة أخرى، هناك ضرورة تعزيز المصادر والمراجع باللغة العربية في هذا التخصص العلمي الذي عرف رفضا وتفنيدا من طرف الدول المغربية في الفترات المباشرة لاستقلالها، وبالأخص في الجزائر، حيث اعتبرت الأنثربولوجيا وإلى غاية العشريات الأخيرة من القرن العشرين من "العلوم الاستعمارية".

أضف إلى ذلك أن أهمية ترجمة الأنثروبولوجيا لا تقل أهمية عن توظيف المقاربة الأنثروبولوجية لبعث الدرس الترجمي وتحريره من قيد التنظيرات اللسانية والأدبية المحضة، وهو ما يتجلى بشكل واضح من خلال أبرز خصوصيات ترجمة النص الأنثروبولوجي التي تتعذر في غياب عمل محاذي للترجمة الميدانية، وهي إحدى الإشكاليات الفرعية التي تطرقنا إليها بشكل عرضي في أبحاث سابقة[2]، والتي نصبوا من خلال هذه الورقة البحثية الوقوف عند حيثيات وتداعياتها بشكل أوسع.

كما أننا وفي السياق ذاته نحاول الولوج إلى طبيعة العلاقة الوظيفية التي تربط فعل الترجمة الأنثروبولوجية بسيرورة إنشاء النص الأنثروبولوجي أصليا كان أم مترجما، سواء في مرحلة الكتابة أو إعادة الكتابة (الترجمة). بالمقابل، وفي ضوء هذه العلاقة الثنائية التي تعمل في اتجاهين متعاكسين ترجمة/أنثروبولوجيا، أنثروبولوجيا/ترجمة، نتساءل: كيف يمكن للترجمة أن تستفيد من المقاربة الأنثروبولوجية باعتبارها من أهم المقاربات التي أثبتت نجاعتها في العديد من التخصصات الاجتماعية والإنسانية؟ وكيف يمكن لهذه المقاربة الحديثة أن تدعم مناهج البحث والتحليل في مجال الترجمة؟

أولا–الترجمة ودورها على الأنسنة الثقافية والاجتماعية :

بالرغم مما يتصوره البعض في كون الثقافة المتلقية هي وحدها التي تخضع لتأثير الثقافة المنقولة عنها، غير أن فعل التأثير والتأثر هو أكثر ما يطبع الصيغة الحوارية للعملية التواصلية التي تتم عبر قناة الترجمة والتي تنبني على التناقل المتبادل للمعطى الثقافي والفكري بين لغتين وثقافتين مختلفتين. فقد تعددت الدراسات عبر التاريخ وتشبعت حول تلاقح المعارف والآداب والعلوم، وما كان للترجمة من دور في بعث وإحياء نصوص في لغات تختلف عن لغة المنشأ وبيئتها الأصلية.

وهكذا باتت الترجمة في وقتنا الحالي رهانا معولا عليه لضمان التعددية الفكرية والثقافية ولتصبح "استيلابا عندما يتقلص دور اللغات والثقافات في التعايش بينها بفعل هيمنة اللغة والثقافة الممثلة للقطب الواحد"[3].

فهي تسهم، من خلال إنتاج وإعادة إنتاج المكنونات الثقافية والتراكمات التاريخية في تشكيل الهويات الجماعية وتخليص مفهوم "الهوية" من صفات التأبّد والثبات[4].

فإقرار الترجمة بمبدأ التعددية الهوياتية في مختلف المجتمعات وحتى في كنف المجتمع الواحد يعد في حدّ ذاته ترسيخا أنثروبولوجيا للبعد التواصلي للعملية الترجمية. وهو تحديدا البعد الذي يشرعن للتداخلات اللغوية وما ينجّر عنها من تناقل لمختلف الرؤى والتصورات الحضارية والثقافية.

ومن ثمة، تصبح الترجمة نوعا من الممارسات الأنثربولوجية، ذلك أن "الأنثربولوجيا الثقافية والإثنولوجيا" تحمل على التفكير (.....) بأن البنى اللغوية المختلفة لا تعبّر دائما عن العالم نفسه . ويسلّم الناس اليوم بوجود "ثقافات " أو حضارات عميقة الاختلاف وتشكّل، لا

عددا يساويها من "رؤى العالم "المختلفة، بل عددا يساويها من "العوالم "الحقيقية المختلفة "»[5]، إذ يتعيّن استحضار السلوكيات الحضارية والوضعيات البشرية في لغات وثقافات مغايرة دون التوصيف المحاذي أو الاستقراء الإثنوغرافي لظاهر وباطن المواقف التي تحيل بشكل أو بآخر إلى الممارسات الاجتماعية والثقافية المرتبطة بجماعة دون أخرى، وهكذا لا يمكن للمترجم إلا أن يتحول إلى أنثوبولوجي أو على حدّ تعبير جورج مونان «كل مترجم لم يتحول، بألف طريقة تجريبية إلى عالم باثنوغرافية الجماعة التي تترجم لغتها، هو مترجم ناقص »[6] .

بالمقابل، لا يمكن القول أن الأنثربولوجي في عمله، يحيد عن هذه المهام الوصفية التي يعاين من خلالها المجتمع المدروس، وهي مهام تخول له توظيف مختلف الأدوات الإجرائية والمنهجية للانتقال بالمعطيات الميدانية إلى سياقات نصية تحدد ملامحها في الغالب أساليب لغوية وإنشائية معينة، ترتبط بذاتية الأنثروبولوجي في حدّ ذاته .

كذلك هي وظيفة المترجم الذي يتجاوز حدود النص اللغوي ليتعداها إلى تلك القراءة الأنثروبولوجية المزدوجة للبنيات الاجتماعية والثقافية الخاصة بكلتا اللغتين، المنقولة عنها والمنقول إليها.

وعليه، فإن هذه الأدوار المتبادلة بين المترجم والأنثربولوجي والمكملة لبعضها البعض لم تخف على الكثير من الأنثروبولوجيين الذين اعتبروا أن مسألة الترجمة ليست مسألة لغوية، وإنما إثنوغرافية[7]، وأن علماء الإثنوغرافيا شأنهم شأن علماء الألسنية هيأوا الإمكانات لنظرية حقيقية ولممارسة علمية صحيحة للترجمة[8].

تأسيسا على ذلك، لا يمكن اعتبار الترجمة مجرد فعل ألسني يسعى فقط إلى إعادة بناء الصيغة اللفظية والدلالية لنص ينتمي إلى لغة أخرى، بل أيضا إلى تحقيق تأثيرات انعكاسية في اللغة المستقبلة، نابعة عن جوهر الجماعات اللغوية الباثة وأنظمتها الاجتماعية والثقافية، أو بعبارة أخرى، تسعى العملية الترجمية إلى تحقيق نوع من الأنسنة الاجتماعية والثقافية.

ثانيا– ترجمة أنثربولوجيا المغرب إلى اللغة العربية: ترجمة أم إعادة كتابة؟

نحاول في هذا المقام التطرق إلى سؤال الكتابة والترجمة ومبعث الخصوصية في ترجمة النص الأنثربولوجي وتحديدا نصوص أنثربولوجيا المغرب إلى اللغة العربية، عن لغات أجنبية (فرنسية وإنجليزية بالأخص). وهي خصوصية تعكسها بشكل كبير طبيعة الكتابة الأصلية (النص الأصلي)

التي تكون بلغات غريبة عن لغة الميدان أو الحقل التي تمت فيه الدراسة أي غريبة عن مجتمعات محلية تنطق بلغات مغايرة ومختلفة عن اللغة الأم للمؤلف–الأنثروبولوجي، هذا من ناحية، ومن ناحية أخرى هناك مسألة ارجاع هذه النصوص إلى بيئتها الأولى عبر ترجمتها إلى اللغة العربية أو لغة المجتمعات –موضوع البحث.

من هذا المنظور، يفترض بالنصوص المترجمة في حالة "أنثربولوجيا المغرب" أن تكون أقرب تصويرا لواقع المجتمعات المغاربية من النصوص الأصلية ذاتها والمكتوبة بلغات غربية، ذلك بحكم الإنتماء السوسيو –أنثروبولوجي للمترجم العربي وانتماء هذا الأخير إلى ثقافة هذه النصوص.

وسواء تعلق الأمر بمترجم عربي أو مترجم غربي يترجم إلى اللغة العربية فإن النتاج النصي لا يختلف كثيرا في الحالتين، كون البيئة المستقبلة تبقى ذاتها والقناة اللغوية التي ينتقل عبرها النص إلى ضفة النص المنشأ هي أيضا نفسها ، فكلا المترجمين سينقلان النص باللغة العربية إلى البيئة العربية والتي تعد في هذه الحالة "بيئة مشتركة "بين الأصل والترجمة.

ثانيا–1 الأدب الانثروبولوجي في محك ثنائية الكتابة والترجمة :

بناء على هذا المنطلق يمكن لفعل الترجمة أن يتحول من سيرورة نقل وانتقال إلى سيرورة كتابة وإنشاء. فالكتابة هي على حدّ تعبير "رولان بارت" ممارسة الكاتب في ما يتصل بالاستعمال الاجتماعي للشكل الذي يعود إليه[9].

ولفهم مسألة الترجمة الأنثروبولوجية، لابدّ من فهم مسألة الكتابة الأنثروبولوجية أولا، فهذه الأخيرة هي مسألة جدّ معقدة، إذ أن الناص يتعامل في أبسط الحالات مع لغتين على الأقل، لغة التواصل في الميدان، ولغة التحرير، وهي في ذلك لا تختلف كثيرا عن مسألة الترجمة بمفهومها الانثروبولوجي، والتي تقوم على فهم ثقافة ما والتعبير عنها في ثقافة أخرى[10].

فالكتابة الأنثروبولوجية هي كتابة وصفية تأويلية خاصة بالباحث الأنثروبولوجي والإثنوغرافي انطلاقا من دراسة ميدانية تقوم على مشاهدة وملاحظة الظواهر المختلفة والمرتبطة بالحياة اليومية لجماعة بشرية أو مجتمع معين في إطار ما يعرف بالحقل أو الميدان. وهو ما يؤكده كل من مارك أوجي (Marc Augé) وبول كولين (Jean Paul Colleyn) في قولهما إن "المنهجية التي تقوم عليها الأنثروبولوجيا هي الإثنوغرافيا .إنه العمل الحقلي الشهير الذي يشارك فيه الباحث في الحياة اليومية لثقافة مختلفة (بعيدة أو قريبة) ، يراقب، يسجل، ويحاول أن يعبر عن "وجهات نظر الشعوب الأهلية "، ثم يكتب[11].

و بطبيعة الحال، كل يكتب حسب أسلوبه الشخصي وإنشاءه الخاص الذي تحدده جملة من المعايير، ومن بينها الموسوعة اللغوية والمعرفية للباحث وعلاقة هذا الأخيرة بميدان التحقيق والنسيج المفحوص. وهو رأي يتشاطره العديد من الباحثين الأنثروبولوجيين، وفي مقدمتهم كليفوردغيرتر (Clifford Geertz) الذي يؤكد على عنصر الذاتية في الكتابة الأنثروبولوجية، وذلك بالارتكاز على سلطة معرفية معينة تقوم على التجربة الميدانية التي تتمخض في الأخير عن استعمال عالم لأدوات بلاغية[12].

وهنا تبرز نقاط الشبه بين الأنثروبولوجي والكاتب، حيث يكتسب كلاهما زاده الفكري وعتاده المنهجي انطلاقا من فهمهما وتأويلهما لثقافة ما، أو مجتمع، وكما هو الشأن بالنسبة لكل

المختصين في العلوم الإنسانية « يعتبر الأنثروبولوجيون أيضا كتابا، وبالتالي عليهم أن يسألوا أنفسهم عن اللغة التي يستعملونها وعن كتاباتهم »[13].

بالمقابل، كثيرا ما يجد الأنثروبولوجي الغريب عن ميدان الدراسة نفسه أمام واقع الظواهر الغريبة عن المجتمع الذي ينتمي إليه، وأمام تحدي المصطلحات والتعابير اللصيقة بثقافة ولغة الحقل المدروس أو المجتمع محل المعاينة. وهكذا فإنه يضطر في الكثير من الأحيان إلى خلق أو استحداث مفاهيم ومصطلحات تقنية في لغته الأم (لغة الأنثروبولوجي المغايرة للغة الميدان) حتى يتمكن من تحقيق التكافؤ اللفظي في لغة الكتابة وهي مهمة لا تخلو عن كونها من المهام الرئيسية للمترجم حين يشتغل على نص أجنبي من خلال نقل ظواهره، معانيه، وأفكاره إلى اللغة الهدف والتي كثيرا ما تكون هي لغته الأم أو لغة الكتابة الأصلية عند المترجم .

وهكذا لا يمكن اعتبار الكتابة مجرد مسألة عرضية في الدرس الأنثربولوجي، بل هي عملية جوهرية تتجسد من خلالها تفاصيل الموضوعات التي يتلقفها الأنثروبولوجي من الواقع المدروس.

كما أنه، وفي الوقت ذاته، لا يمكن تغيب الفعل الترجمي عن هذه العملية حتى ولو كان صميميا وضمنيا يخالج العقل الباطن للباحث أو يتم بصفة لا شعورية وبغير قصد.

ففي الترجمة[14] العربية لكتاب الهيمنة الذكورية (La Domination masculine[15]) لبيار بورديو مثلا يرّد مفهوم هام يرتبط بأحد أهم الصفات التي يتميّز بها الجنس الذكوري، على المستوى الأخلاقي، كما جاء على لسان بورديو والمتمثل في مفهوم "النيف". وإذا كان هذا المفهوم قد ورد في اللغة الفرنسية بصيغة، «point d'honneur » فإن الكاتب لايتهاون عن اقتراضه في صورته الصوتية واستنساخه في الحروف اللاتنية (nif) ، مع ذكره بين قوسين كمرادف أو كشرح لما سبقه من تعبير، وكذلك ليؤكد الكاتب غرابة هذا المصطلح وأجنبيته عن لغة الكتابة (أي اللغة الفرنسية)، ملتزما الأمانة العلمية في نقله بحذافيره من لغة المجتمع المدروس إلى لغة الكتابة، أو لغة الكاتب الأجنبي بشكل عام.

أما على صعيد الترجمة، فلا نجد أثرا للتوكيد اللفظي والمعنوي الخاص بمفهوم يرى بورديو أنه من ميزة المجتمع القبائلي وحظي بمكانة وفيرة في الأبحاث الأنثربولوجية التي دارت حول هذا المجتمع سواء عند بورديو أو غيره من الباحثين الدارسين له. فلقد اكتشف بورديو جماعات تتسم

بالمنافسة من أجل المتاع المادي والرمزي، وحيث الأفراد يضعون استراتيجيات فردية ويفرضون شخصياتهم من خلال قيم مثل الشرف، الشجاعة، التضامن و"النيف".[16] وهكذا وبالرغم من قرب لغة المترجم من الظاهرة المدروسة، بل بالرغم من كون لغة الترجمة هي اللغة الأصلية التي صيغت فيه الكناية المرتبطة بالظاهرة الاجتماعية الموصوفة والتي تعد من الميزات الأنثربولوجية لمجتمع القبائل بصفة خاصة والمجتمع الجزائري بصفة عامة، إلا أن المترجم يتغاضى تماما عن ذكرها في شكلها الأصلي، حتى أنه يقصي تماما ترجمة المصطلح الوارد بين قوسين، وكأنه شرح أو تكملة لما سبقه ويمكن الاستغناء عنه.

من خلال هذا المثال تتأكد فكرة أن ما هو غريب عن الكاتب أو الباحث الأجنبي في حقل أنثربولوجيا المغرب، يفترض به أن يكون أكثر ألفة بالنسبة للمترجم العربي أو المترجم المنتمي إلى هذه المجتمعات.

و إذا كان الإشكال يطرح بالنسبة لمترجم هذا النص، كونه (أي المترجم)، وإن كان عربيا أو يكتب باللغة العربية ويترجم إليها، إلا أنه ليس جزائريا أو مغاربيا، بل من المشرق العربي،

و مفهوم "النيف"، حتى وإن وجد بدلالاته السيميائية والسوسيولوجية، فإنه لا يستدل عليه بالصيغة اللغوية ذاتها (فهو يعبر عنه بالأنفة أو الرجولة وما شابهها من مصطلحات ومعاني.

و قد اتسمت لغة بورديو التي وظفها في نصوصه الأنثربولوجية بوجود عدّة مصطلحات ومفاهيم مستحدثة المعنى ومقتبسة عن لغات قديمة كاللاتينية والإغريقية، ومن أهمها مفهوم "الهابتوس" (Habitus) وهو "نسق الاستعدادات التي ينشأ عليها الفرد ويكتسبها، وهي تتعلق بأربعة مستويات: العرفاني، والخُلقي، والجمالي، وهيئة الجسد. وعلى العموم فالهابتوس كنسق من الاستعدادات يعمل وفق آليات داخلية معقدة تكوّن حدود النسق وتشكّله، في استقلالية عن محيطه، وتظهر إلى العلن عن ممارسات تعبر عن الهوية الاجتماعية لصاحبها وانتمائه"[17]. ويعرفه بورديو نفسه بوصفه: "أنساق من الاستعدادات المستدامة والقابلة للنقل. إنها بنى مبنْيَنة، قابلة، مسبقا، للاشتغال بوصفها بنى مبنْيَنة، أي باعتبارها مبادئ مولّدة ومنظمة لممارسات وتمثّلات يمكن لها، موضوعيا أن تتأ لم مع هدفها، من دون افتراض رؤية واعية للغايات والتحكم الصريح في العمليات الضرورية من أجل بلوغها (الحس العملي) "[18].

و قد سبق لدوركايم استخدام هذا المصطلح قبل بورديو للتعبير عن استعدادات الفكر التي تؤدي بالفرد إلى تبني سلوك معين، غير أن بورديو أعطى هذا المفهوم صيغة جوهرية في أبحاثه للدلالة على المدركات والتمثّلات المتراكمة لدى الفرد طيلة حياته[19].

من بين المصطلحات الأخرى المستخدمة في ترجمة مفهوم "الهابتوس"، مصطلح "الإنعواد" الذي استخدمه المترجم المغربي محمد أمطوش[20]، ويعد هذا المصطلح أحد المصطلحات الإشكال عند بورديو والذي ترجمه البعض بالخصائص الاجتماعية النفسية، والخصائص الشخصية، والوسط المعيشي، والطابع، والطابع الاجتماعي الثقافي، والسّمت، والسيماء، والسجيّة وبالعرف وبالتطبع والتعود والعادة والعادة المستبطنة، في حين اكتفى آخرون بنقرحته أبيتوس وهابيتوس وهابتوس.

وعليه، فهناك من المترجمين من احتفظ بالصيغة الصوتية للمصطلح وعكف على ترجمته باستخدام أسلوب الاقتراض أي بـ "هابتوس" ومن بينهم بن عبد العالي و أحمد حسان وسلمان قعفراني، وهو أسلوب يسمح بتجنب اللبس خاصة في غياب المقابل المفهوماتي في اللغة المستقبلة، وهي الحال ذاتها في مختلف اللغات الأوربية أيضا، حيث أقدمت معظمها على استخدام نفس الأسلوب محتفظة بالمصطلح ذاته.

وتمثل نسبة ترجمة هذا المصطلح بـ "هابتوس" في اللغة العربية ما يقل عن 3% من جملة الترجمات الأخرى المقترحة لأعمال بورديو، حيث أن ثلاثة مترجمين فقط من بين إثنا عشر مترجما اقترحوا هذه الترجمة. وهو أمر إن دلّ على شيء إنما يدل على تحفظ المترجم العربي إيزاء الترجمة بالاقتراض، إذ يلجأ هذا الأخير إلى أساليب أخرى توفرها اللغة العربية لوضع المصطلحات واستحداثها، وهي أساليب أصابت في بعض الحالات وخابت في بعضها الأخر.

غير أن الأمر المشترك في مختلف الترجمات العربية المقترحة لكتابات بورديو هو أن المترجمين كثيرا ما يحتفظون بالمصطلح الأصلي، وفي لغته الأجنبية، سواء من خلال ذكره في متن النص المترجم مباشرة بعد الترجمة المقترحة أو من خلال التعليقات التي تكون في الهامش أو من

خلال شرحه في فهرس المصطلحات كما هو الحال بالنسبة للترجمة العربية لكتاب "الهيمنة الذكورية ".

و من بين الترجمات الأخرى الواردة كمقابل لمصطلح« Habitus » نجد أيضا كلمة "سمت" والتي تعني درب أو طريق (ومجازا تعني هيئة أو مظهر خارجي) وهي الترجمة المقترحة من طرف كل من الغور وأبو دودو. كما يقترح أنور مغيث ترجمة "سمة اجتماعية" للتعبير عن الفيزيونوميا الاجتماعية (physionomie sociale).من جهة أخرى، يردّ مصطلح " تطبّع" في الترجمة المقترحة من طرف كل من إبراهيم فتحي ونذير جاهل وهو مصطلح تم استرجاعه من عمق الموروث اللغوي القديم[21].

كما وردت ترجمة مفهوم « Maraboutisme » بـ "المرابوطية" في النسخة العربية لكتاب كليفورد غيرتز (Islam Observed[22]) أو "الإسلام من وجهة نظر علم الإناسة"[23] وهي كلمة تدل في معناها الحرفي على "كل من يرابط على الحدود للدفاع على أربطة تعوّد الجنود أن يتعبدوا فيها"[24]، أي أن أصل كلمة « Marabout » عربي وجاء من تحريف صوتي بسيط للكلمة العربية (مرابط) (Murabit) التي تعني، كما سبق وأن أشرنا إليه أعلاه، الرجال الذين يعيشون في الرباط (الدير المحصنة). وقد نتج مفهوم "المرابط " (Marabout) عن التطور الذي عرفه الرباط في تاريخ مسلمي الشرق والغرب، ولكنه عرف معناه وقيمه الحالية في شمال إفريقيا، فالمرابوطية هي واقع تقترن فيه العديد من الأفكار الصوفية ، والحركات السياسية والدينية وكذلك الممارسات الشعبية الخرافية.

فبقدر ما يستصعب المترجم أحيانا الانتقال بنص من فكر إلى فكر مغاير، ومن ثقافته إلى ثقافة أخرى ،بقدر ما يتعثر في الكثير من الأحيان الأخرى في الولوج به من عبقرية لغة الأصل إلى عبقرية لغة الترجمة، لا يمكن الاستهانة، في المقابل ، بإشكالية التمثّلات التعبيرية في اللغة الأم عند الباحث الأنثروبولوجي والتي تتشكل لديه انطلاقا من ميدان غريب عنه، وهو ما يؤكده دوغلاس روبنسون في كتابه الموسوم "بالترجمة و الإمبراطورية" قائلا «هكذا تظهر مشكلة أن تصف للآخرين كيف يفكر أبناء قبيلة نائية على

أنها مشكلة ترجمة، مشكلة أن تجعل ذلك التماسك الذي يتسم به الفكر البدائي في اللغة التي يستخدمها واضحا قدر الإمكان في لغتنا نحن »[25].

وهكذا يمكن اعتبار الكتابة الأنثروبولوجية قراءة تأويلية تنتقل بفكر الأنثروبولوجي أولا، من لغة الميدان إلى لغة الأم ، قبل أن تولد على الورق عبر لغة ثالثة، حيث أن اللغة بالمعنى الأنثروبولوجي هي وعاء الثقافة والثقافة من وجهة نظر الأنثروبولوجي هي النسق المعيشي للمجتمعات بمختلف تجلياته وصوره.

ثانيا–2 ترجمة "أنثروبولوجيا المغرب "إلى العربية :الأهمية والخصائص :

بعد ظهور الدراسات النقدية لما عرف "بالعلوم الاستعمارية" في خمسينات وستينات القرن العشرين، عرفت أنثروبولوجيا المغرب انتعاشا كبيرا بفضل أبحاث ودراسات ثلة من الأنثروبولوجين الغربيين وعلى رأسهم الباحث الأمريكي كليفور دغيرتر، وعالم الاجتماع بيار بورديو والأنثروبولوجي الإنجليزي إرنست غيلنر، والمفكر الفرنسي جاك بيرك الذي لعب دورا كبير في ترسيخ القطيعة مع الدراسات الكولونيالية خاصة بعد نشره لمقال «في مدلول القبيلة بشمال افريقيا»[26]. وهكذا بفضل أعمال هؤلاء الباحثين وغيرهم من الباحثين الغربيين والمحليين عرفت البلدان المغاربية، وخاصة الجزائر والمغرب في تلك الفترة زخما معرفيا ثريا في مجال العلوم الاجتماعية وتحديدا في حقل الأنثروبولوجيا وعلم الاجتماع.

وإذا كانت هذه الأبحاث قد تمت في معظمها بلغات أجنبية (فرنسية وانجليزية) فإنها لم تقتصر على باحثين غربيين، بل تعدتهم إلى باحثين محليين* اشتغلوا على المجتمعات المغاربية وساهموا بقدر كبير في إزالة النزعة الكولونيالية عن الدراسات الإثنوغرافية و الأنثروبولوجية.

وعليه تكتسي ترجمة هذا الفرع من تخصص الأنثروبولوجيا أهمية بالغة من المنطلق أنها تسمح لنا بالولوج إلى ذواتنا عبر أعين الأخر وتمكننا من إكتشاف صورتنا عنده، فهذه النصوص هي نصوص نكتشف من خلالها «تماثلات وتباينات، لم نتعرف على بعض ملامحها غالبا إلا عبر غيرنا من علماء الغرب الذين كتبوا عنا، أو استنفروا أوصافنا ،أو خلخلوا أوهامنا عن أنفسنا »[27]، وهو ما يجعل المترجم العربي أمام حالة خاصة من الترجمات التي تزيل فيها عديد العوائق الفكرية والحواجز الثقافية، وتجنبه ما يسميه حسن رشيق "التعب الثقافي" [28] كونه يشترك مع المجتمع

المدروس في الكثير من العناصر الاجتماعية والثقافية. وأمام هذا الوضع الفكري والثقافي، نتساءل في هذا المقام عن مدى مشروعية تغيير وتطوير نظرة "الآخر "إلى "الأنا " ومدى قابلية تحوّلها في ظل سياقات تاريخية واجتماعية مغايرة ترتبط بواقع المجتمع المدروس وتنطلق من وجهة نظره الخاصة.

فراهن الدراسات الأنثروبولوجية في وقتنا الحالي يختلف عنه في الفترات التاريخية السابقة ، خاصة في الفترة الكولونيالية، حيث أصبحت المجتمعات المستعمرة سابقا تستخدم وتوظف الأدوات الأنثروبولوجية في أبحاثها الميدانية، بغرض معاينة مشاكلها اليومية عبر مقاربات علمية عميقة تسمح بالكشف عن التجليات المتعددة الأبعاد لمختلف الظواهر الاجتماعية، السياسية، الدينية، وغيرها.

فسواء تعلق الأمر بالمجتمعات المستعمرة أو المستعمرة، فإنه في كلتا الحالتين أصبح للأنثروبولوجي دور انمائي وتقدمي أكثر منه استعماري واستغلالي.

انطلاقا من هذه الاعتبارات، وبناء على تعددية القراءة التأويلية في العملية الترجمية وكذلك انفتاح سيرورة الترجمة على الفضاءات الزمنية والسياقات التاريخية المتعاقبة، يمكن للترجمة أن تحقق تغييرا ايجابيا وأن تبعث على النقد البناء لما سبق انتاجه حول المجتمعات المغاربية في الحقبة الكولونيالية.

وهي قراءة عميقة وخلاّقة لا يمكن أن تتأتى بعيدا عن الأسس المنهجية لنظرية ما بعد الكولونيالية أو ما يعرف بنظرية الترجمة ما بعد الكولونيالية. فالدراسات ما بعد الكولونيالية هي «جزء من حقل النظرية الثقافية أو الدراسات الثقافية متعددة الفروع، الذي يعتمد على الأنثروبولوجيا، وعلم الاجتماع، ودراسات الجنوسة، والدراسات الإثنية، والنقد الأدبي، والتاريخ، والتحليل النفسي، وعلم السياسة، والفلسفة في تفحصّه النصوص والممارسات الثقافية المختلفة»[29].

وهنا يتجسد أيضا وجه آخر من وجوه العلاقة التكاملية بين الترجمة والأنثروبولوجيا، حيث تصبح المقاربة الأنثروبولوجية من المحركات الرئيسية في توجيه الفعل الترجمي، وتعزيز معارف المترجم حول النص، بوصف هذا الأخير كائن حي، ينشأ ويترعرع في بيئة معينة ومحيط خاص.

وتبنى الترجمة خطاب "ما بعد الكولونيالية " في نقل الدراسات الأنثروبولوجية من لغات أجنبية إلى اللغة العربية، من شأنه أن يتيح تصويب المعارف حول المجتمعات المغاربية وإعادة إنتاجها في سياقات سوسيو – تاريخية مغايرة كما أنه سيساهم في تغيير تلك النظرة الفوقية للآخر، ويمنح المحليين لسانا يصفون عبره حال واقعهم.

بالإضافة إلى هذا، يعدّ الخطاب ما بعد الكولونيالي وسيلة لإبطال الأحكام السلبية ، وتغيّير التمثلات الغربية للسلطة المستعمَرة عن المجتمعات المستعمِرة، كما أنه يسمح لهذه المجتمعات ذاتها التي شكلت موضوع الدراسة من إعادة النظر في نصوص كتبت حولها وحول واقعها المعيش في فترة من الفترات التاريخية[30].

وبهذا تكون الترجمة قناة ناجعة لتصويب التأويلات والقراءات الخاطئة للخطاب الأنثروبولوجي الكولونيالي حول المجتمعات المستعمرة سابقا، وكذلك تفنيد الأفكار والتمثّلات الثقافية المتواطئة مع المشروع الاستعماري.

خاتمة :

في الأخير نؤكد على ضرورة تعزيز استخدام المقاربة الأنثروبولوجية في الدراسات والأبحاث الترجمية، وذلك من خلال التفكير في دعم مبحث يتجاوز التحليلات اللسانية أو الأسلوبية، وهو ما سنعرفه بـ "**أنثروبولوجيا الترجمة**" على شاكلة " أنثروبولوجيا الديني "،" أنثروبولوجيا الأدب "أنثروبولوجيا العمل" ....الخ.

بالمقابل، تمنح ترجمة الدراسات الأنثروبولوجية حول البلدان المغاربية المحليّن فرصة إعادة قراءة وكتابة هذه النصوص من جديد، فإذا كانت الترجمة قد مهدت طريق البحث أمام الباحثين العربيين الذين اشتغلوا في حقل "أنثروبولوجيا المغرب" لاقتحام ميادين بحثية غريبة عنهم، فإن ترجمة هذا الفرع الأنثروبولوجي إلى اللغة العربية هي من الرهانات الأساسية المعول عليها في خلق أنثروبولوجيا محلية جديرة برفع الأعمال الميدانية للباحثين المغاربة حول مجتمعاتهم إلى مصاف الأبحاث العالمية ذات القيمة العلمية والأكاديمية.

هوامش

[1] تسمية "أنثربولوجيا المغرب" هي تسمية اصطلاحية تطلق على أحد فروع الأنثربولوجيا. والتي تتمثل في الدراسات المنجزة حول البلدان المغاربية في الفترة الممتدة بين خمسينيات وستينيات القرن العشرين. والمقصود بكلمة المغرب في هذا المقام ليس فقط دولة المغرب الأقصى وإنما كل الدول المغاربية أو المغرب الكبير بشكل عام، مع أن الدولتين اللتين عرفت فيها هذه الدراسات إنتعاشا أكبر هي الجزائر ودولة المغرب. وعليه فإننا نستخدم عدة مصطلحات أخرى مثل "المغرب"، البلدان المغاربية"، "دول المغرب" مقابل كلمة "المغرب" لتفادي اللبس بين المفهومين.

[2] صورية مولوجي – قروجي، "الترجمة في الدراسات الأنثروبولوجية بالمغرب العربي". كتاب "الهيمنة الذكورية"، لبيار بورديو و"الإسلام ملاحظا" لكليفورد غيرتز نموذجا، بحث مقدم لنيل شهادة الدكتوراه في الترجمة، تحت إشراف أ.د محمد داود. أطروحة تمت مناقشتها بمعهد الترجمة، جامعة وهران1، 2017.

[3] رشيد برهون، درجة الوعي في الترجمة، تطوان، المملكة المغربية، منشورات، مكتبة سلمى الثقافية، 2003، ص27.

[4] ينظر في هذا الصدد، فايز الصباغ، "إشكالية الهوية وثنائية اللغة والترجمة في السياق العربي المعاصر"، مجلة تبين للدراسات الفكرية والثقافية، محور "اللغة والهوية "، عدد 1، المجلد الأول، الدوحة، قطر، مركز الأبحاث والدراسات السياسية 2012، ص117.

[5] جورج مونان، مسائل نظرية في الترجمة، ترجمة لطيف زيتوني، الطبعة الأولى، بيروت – لبنان، دار المنتخب العربي للدراسات والنشر والتوزيع، 1994، ص 101.

[6] المرجع نفسه.

[7] Voir Eugène Nida, «Linguistics and ethnography in translation problems» in Word .n.2, New york, Dell Hymes editions, 1945, p194.

[8] Lévi Strauss, Tristes tropiques, Paris, éditions Plon, 1955, p. 420.

[9] محمد بوعزيزي، "السؤال اللساني" اللغة والكتابة في العلوم السوسيولوجية. مستقبل العلوم الاجتماعية على العالم العربي، بحوث المؤتمر الذي نظمه مركز الدراسات الوحدة العربية (بيروت)، مركز البحث في الأنثروبولوجيا الاجتماعية والثقافية (وهران) والجمعية العربية – لعلم الاجتماع (تونس)، بمركز الكراسك أيام 23 و24 مارس 2012، بيروت، منشورات مركز الوحدة العربية، نوفمبر 2014، ص 358.

[10] أبو بكر باقادر، "الداسات الأنثوبولوجية في الترجمات العربية"، الترجمة العلوم الإنسانية الاجتماعية في العالم العربي المعاصر، تحت إشراف ريتشار جاكمون، أشغال الندوة من طرف مؤسسة الملك عبد العزيزة آل سعود

للدراسات الإسلامية والعلوم الانسانية، 25، 26، 27 أكتوبر2007 الدار البيضاء- المغرب 2008، ص 199.

[11] مارك أوجي، جون بول كولين، الأنثروبولوجيا، ترجمة جورج كتورة، بيروت – لبنان، دار الكتاب الجديد المتحدة، 2008، ص 71 .

[12] *Cf*, Jackie Assayag, La mondialisation des sciences sociales, France, Tétraédre, 2010, p157.

[13] مارك أوجيه، جون بول كولين، الانثروبولوجيا، المرجع المذكور، ص 86.

[14] بيار بورديو، الهيمنة الذكورية، ترجمة سلمان قعفراني، الطبعة الأولى، بيروت، المنظمة العربية للترجمة، 2009 .

[15] Pierre Bourdieu, *La domination masculine*, Paris, éditions du Seuil, 1998.

[16] *Cf.*, Lahouari Addi, Pierre Bourdieu revisité. La notion de capital social. Lahouari Addi, « L'anthropologie du Maghreb. Lecture de Bourdieu, Geertz, Gellner et Berque », *Revue Awal*, Ibis Press, Paris, 2004, p.141-153.

[17] بيار بورديو، الهيمنة الذكورية، المرجع المذكور، ص 186.

[18] المرجع نفسه.

[19] *Cf.*, Alain Bruno et Christian Elleboode (Dir.,), Dictionnaire d'économie et de sciences sociales, 2ème éditions mise à jour et augmentée, Editions Ellipses, Paris, 2010, p 254-255.

[20] مترجم كتاب لويس بينتو الذي يتعرض لمسيرة بورديو العملية وأهم أفكاره وتوجهاته السيوسيولوجية والإثنوغرافية. ينظر لأكثر تفاصيل : لويس بينتو، نظرية العالم الاجتماعي، المرجع المذكور.

[21] *Cf.*, Richard Jacquemond, « Les traductions arabes de Pierre Bourdieu », La traduction des sciences humaines et sociales dans le monde arabe contemporain, Jacquemond Richard (dir.), colloque international organisé du 25 au 27 octobre 2007 par la Konrad-Adenauer-Stiftung et la Fondation du Roi Abdul-Aziz Al-Saoud pour les Etudes islamiques, Casablanca, Fondation du Roi Abdul-Aziz, 2008, p. 136.

[22] Geertz Clifford, Islam Observed: Religious Development in Morocco and Indonesia, Chicago, University of Chicago Press, 1968.

[23] غيرتز كليفورد، الإسلام من وجهة نظر علم الإناسة. التطور الديني في المغرب وإندونيسيا، ترجمة أبوبكر باقادر، بيروت–لبنان، دار المنتخب العربي، 1993.

[24] ثيجل مونستر، الترجمة وأثرها في بناء الحضارات، الجزائر، دار الكتاب الحديث، 2007، ص 426.

[25] دوغلاس روبنسون، الترجمة والإمبراطورية. نظريات الترجمة ما بعد الكولونيالية، ترجمة ثائر علي ديب، الطبعة الثانية، دمشق – سوريا، دار الفرقد، 2009، ص 10-11.

[26] Jacques Berque, « Qu'est qu'une tribu nord–africaine ?», in Hommage à Lucien Febvre (collectif), Paris, Armand Colin, 1953, p 261-271.

تستخدم ترجمات "الأنثروبولوجي الأهلي" أو "الأصلي"، "الأصيل" أو "الأنثروبولوجي في بلده أو وطنه" كمقابلات للمصطلحات الإنجليزية المتمثلة في :anthropologist, native Indigenous, anthropologist at home

او كمقابلات للمصطلحات المستخدمة في اللغة الفرنسية مثل :

L'autochtone, le natif, l'indigène ou le local.

هذا في حين يستخدم بعض الغربيين الذين يشتغلون في بلدانهم وحولها، مفهوم أنثروبولوجيا القريب (anthropologie du proche) في ما يخص هذا المفهوم الاخير، ينظر لأكثر تفاصيل، كاميليا فوري الصلح، ثريا التركي، في وطني أبحث–المرأة العربية في ميدان البحوث، الترجمة أسعد حليم، بيروت، مركز دراسات الوحدة العربية، 1993.

[27] الفاسي الفهري عبد القادر، "الترجمة، اللغة والتثاقف"، دراسات وأبحاث الملتقى العربي للترجمة. الترجمة في الوطن العربي: الواقع والمأمول، الطبعة الأولى، مطبعة كركي، سبتمبر 2005، ص 116.

[28] أبو بكر باقادر وحسن رشيق، الأنثروبولوجيا في الوطن العربي، دمشق –سوريا، دار الفكر، 2012، ص 196. ينظر أيضا:

Rachik Hassan, « Le Maghreb dans les débats anthropologiques », in Prologues, Casablanca, numéro spécial, n° 32, Hiver 2005.

[29] دوغلاس روبنسون، الترجمة والإمبراطورية. نظريات الترجمة ما بعد الكولونيالية، المرجع المذكور، ص 30 .

[30] ينظر في هذا الصدد، لأكثر تفاصيل : أوبيدي كربونيل كورتيس، ترجمة الآخر، الغرابة وما بعد الكولونيالية، ترجمة أنور المرتجى، الرباط – المغرب، منشورات زاوية، 2012، ص 9-10.